

العوائق والعلائق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً..

اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد: إن الوصول إلى الله سبحانه وتعالى موقوف على هجر العوائد وقطع العوائق؛

فالعوائد: السكون إلى الدعة والراحة، وما ألفة الناس وما اعتادوه من الرسوم والأوضاع التي جعلوها

بمنزلة الشرع المتَّبَع؛ بل هي عندهم أعظم من الشرع، فإنهم ينكرون على من خرج عنها وخالفها ما لا ينكرون على من خالف صريح الشرع، بل نصبوها أنداداً للرسول صلى الله عليه وسلم يوالون عليها ويعادون، فالمعروف عندهم ما وافقها، والمنكر ما خالفها، وهذا ما استولى على طوائف من بني آدم فعمّ بها المصاب، وهجر لأجلها السنّة والكتاب؛ فمن استنصر بها فهو عند الله مخذول، ومن اقتدى بها دون كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو عند الله غير مقبول، وهذا أعظم الحجب والموانع بين العبد وبين النفوذ إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم....

فالعوائق: هي أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها، وإنها تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه

طريقه، وهي ثلاثة أمور: شرك، بدعة، معصية.. فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد، وعائق البدعة بتحقيق السنّة، وعائق المعصية بتصحيح التوبة...

وهذه العوائق لا تتبين للعبد حتى يأخذ في أهبة السفر، ويتحقق بالسير إلى الله والدار الآخرة؛ فحينئذ تظهر له هذه العوائق ويُحسّس بتعويقها له بحسب قوة سيره وتجرده للسفر، وإلا فما دام قاعداً لا تظهر له كوامنها وقواطعها...

- وإن من العوائق التي تحول بين العبد وربّه فتعيق وصوله إلى الله تعالى:

ما قاله أحدهم:

إلا لأجل شقاوتي وعنائي	إني ابتليت بأربع ما سلّطوا
كيف الخلاص وكلهم أعدائي	إبليس والدنيا ونفسي والهوى

وأرى الهوى تدعو إليه خواطري	في ظلمة الشهوات والآراء
-----------------------------	-------------------------

1- الشيطان:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور 21].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر 6].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمِينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتَئِكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء 119].

- قال يحيى بن معاذ: (ابن آدم! احذر الشيطان فإنه عتيق وأنت جديد، وهو فارغ وأنت مشغول، وهمته واحدة وهي هلاكك وأنت مع همم كثيرة، والشيطان يراك وأنت لا تراه، وأنت تنساه وهو لا ينسأك، ومن نفسك له عون، وليس من نفسه عون).

- وقال مجاهد: (من ذرية ابليس: لا قنيس وولهان؛ وهما صاحبا الطهارة والصلاة... والهفاف ومُترّة: وبه يكتئى.. وزلنبور: وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع..

وتبر: وهو صاحب المصائب، يزين خمش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب... والأعور: وهو صاحب الزنا، ينضح في إحليل الرجل وعجز المرأة.. ومطوس: وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً.. وداسم: وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يُسلم ولم يذكر الله، بصّره في المتاع ما لم يُرفع أو يحس موضعه، وإذا أكل ولم يسمّ أكل معه.

- وروى أبي كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للوؤوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء) / أخرجه الترمذي.

- وأخرج مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت يا رسول الله؛ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قرائن يُلبّسها عليّ!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسست فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً).**

قال: فقلت في ذلك فأذهب الله عني..

- وروى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا!! فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته!! قال: فيدنيه ويقول: "نعم أنت" قال الأعمش أراه قال: فيلتزمه..).**

* هذا هو الشيطان عدو الإنسان الأول يحوم حول قلوب بني آدم يغريهم بشتى أبواب الفسق وأنواع المعاصي، فكلما كان الإنسان متبعاً لهواه منكباً على الشهوات كلما استطاع الشيطان أن يدخل قلبه ويستولي عليه، وكلما كان مُعرضاً عن شهواته متمسكاً بشرع ربه وأوامره أصبح قلبه محلاً لخواطر الرحمن بعيداً عن وساوس الشيطان...

- وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فيإبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فيإبعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) / أخرجه الترمذي./**

- قال الحسن: إنما هما هتان يجولان في القلب، همّ من الله تعالى، وهمّ من العدو، فرحم الله عبداً وقف عند همّه، فما كان من الله تعالى أمضاه، وما كان من عدوه جاهده..

- وروي أن إبليس سأل الشافعي رضي الله عنه: ما قولك فيمن خلقتني كما اختار، واستعملني فيما اختار، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار، أعدل في ذلك أم جار؟ فنظر في كلامه ثم قال: يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن كان خلقك لما يريد هو، فلا يُسأل عما يفعل.. فاضمحلّ إلى أن صار لا شيء، ثم قال: والله يا شافعي لقد أخرجت بمسألتني هذه سبعين ألفَ عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة..

- وهكذا فإن مثال القلب مثال حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يُقدَّر على حفظ الحصن من العدو إلا بجراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يُقدَّر على حراسة أبوابه من لا يديرها...

فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب، وهو فرض عين على كل مُكَلَّف، وما لا يُتوصَّل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخله واجبة..

* ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة وفيها:

1- الغضب والشهوة:

فإن الغضب غَوَل العقل، وإذا ضعف العقل هجم جند الشيطان، ومتى غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة، وقد ذُكر (أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى)

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أوصني، قال: (لا تغضب) فردد مراراً، قال: (لا تغضب) /رواه البخاري/

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم محذراً ابن آدم من شهوته: (ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء) /رواه البخاري/.

2- الحسد والحرص:

فمتى كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصَحَّه، فحينئذ يجد الشيطان فرصةً فيحسِّن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكرًا فاحشاً...

- فقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى، فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه، فقال له نوح: ما أدخلك؟ فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك.. فقال نوح: اخرج منها يا عدو الله فإنك لعين..، فقال له إبليس، خمسٌ أهلك بهن الناس، وسأحدثك منهنّ بثلاث، ولا أحدثك باثنتين، فأوحى الله إلى نوح أنه

لا حاجة لك بالثلاث، فليحدثك بالاثنتين. فقال له نوح: ما الاثنتان؟ فقال: هما اللتان لا تكذبانني، هما اللتان لا تخلفاني، بهما أهلك الناس: الحرص والحسد؛ فبالحسد لُعِنْتُ وجعلت رجماً، وأما الحرص فإنه أبيض لآدم الجنة كلها إلا الشجرة، فأصبت حاجتي منه بالحرص..

3- الشبع من الطعام:

وإن كان حلالاً صافياً؛ فإن الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان، قال صلى الله عليه وسلم: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه مجاربه بالجوع)**

4- حب التزين من الأثاث والثياب والدار:

فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرّخ، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقفوها وحيطانها وتوسيع أبنيتها، ويدعو إلى التزين بالثياب، ويستسخره فيه طول عمره، فإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى، ويخشى من ذلك سوء العاقبة والعياذ بالله..

5- حب المال بسائر أصنافه:

فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان.. قال صلى الله عليه وسلم: **(إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال).**

6- البخل وخوف الفقر:

فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم.. ومن آفات البخل: الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال وهي معشش الشياطين..

قال تعالى: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: 268].

7- التعصب للمذاهب:

والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً..

قال الحسن رضي الله عنهم: بلغنا أن إبليس قال: سؤلت لأمة محمد المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار، فسؤلت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء، فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها..

8- العجلة وترك التثبت في الأمور:

قال صلى الله عليه وسلم: **(العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى)**؛ فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري..

- هذه هي مداخل الشيطان على بني آدم؛ فيجب على الإنسان قطع هذه الأبواب من القلب، فإن الله تعالى كما جعل لإبليس فرصة الإغواء فقد جعل لآدم وذريته فرصة الاختيار؛ فإن صبر واستقام والتجأ إلى المولى سبحانه وتعالى في كل آن لم يكن عليه للشيطان سيلاً..

- قال تعالى: **﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾** [النساء: 76]

- قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: (ما خلق الله تعالى خلقاً أهون عليّ من إبليس، لولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبداً)..

- وقيل لآخر: كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال: (وما للشيطان؟ نحن قوم صرفنا همّنا إلى الله فكفانا من دونه)..

إذ لا يتمكّن الشيطان من النفس إلا بسبب إغراض الإنسان عن هدي ربه وتعلقه بحب الدنيا وشهواتها.

قال تعالى: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** [سورة الحجر: 42]، ولا سبيل على دفع كيد الشيطان إلا بطاعة الله ومجاهدة النفس عن تلك المداخل التي ذكرناها...؛

ويعينه على ذلك: ذكر الله تعالى، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس، وإن نسي الله التقم قلبه)..**

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف 201].

- قال أبو هريرة رضي الله عنه: (التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث عارٍ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعاً، وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً، فقال: لكبي مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك، فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)..

- وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطاني: دخلت فيك وأنا مثل الجزور، وأنا الآن مثل العصفور، قلت: ولم ذلك؟ قال: تذيبي بذكر الله تعالى.

- فأهل التقوى لا يتعدّر عليهم سد أبواب الشيطان، وحفظها بالحراسة، بل بالتقوى والمحاسبة قد يصلون إلى مرتبة يخاف فيها الشيطان من لقياهم كما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شهد له بذلك سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقال له: **(إيهأ يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك..)**.

- نسأل الله عز وجل أن يحفظنا من مكايد شياطين الإنس والجن ومكرهم، ويرد كيدهم في نحورهم، إنه أكرم المسؤولين...

2 - الدنيا:

- كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: (أما بعد، فإن الدنيا ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة، فاحذرهما يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى منها فقرها، لها في كل حين قتيل، تُذِلُّ من أعزها، وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، فكن فيها كالمداوي جراحه، يجتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، ويصبر على شدة الدواء، مخافة طول الداء، فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها، وفتنت بغرورها، وحلّت بآمالها، وسوّفت بخطابها، فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قالية، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالأول مزدجر، ولا بالعارف

بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر، فعاشق لها قد ظفر منها بجأته، فاغترّ وطغى ونسي المعاد، فشُغِلَ فيها لُبّه، حتى رَكَتْ به قدمه، فَعَظُمَت ندامته، وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألماً وحسرات الموت بغصته، وراغبٌ فيها لم يدرك منها ما طلب، ولم يروّح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد، وقد على غير مهاد، فاحذر يا أمير المؤمنين، وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأنّ فيها إلى سرور، أشخصته إلى مكروه، الضارّ في أهلها غار، والنافع فيها غدار ضار، وقد وُصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسورها مشوبٌ بالأحزان، ولا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يُدرى ما هو آتٍ فينتظر، أمانها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، وابن آدم فيها على خطر؛.. إن عَقَلَ ونظر فهو من النعماء على خطر، ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لم يُخبر عنها خبراً، ولم يضرب لها مثلاً كانت الدنيا قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل منها زاجر، وفيها واعظ؟ فما لها عند الله عز وجل قدر، ولا نظر إليها منذ خلقها، ولقد عُرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يُجِب ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضعه مليكه، فزواها عن الصالحين اختبار، وبسطها لأعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها، المقتدر عليها أنه أكرم بها، ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شدّ الحجر على بطنه...).

- قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ [آل عمران 14].

هذه الآية تبين لنا أكثر الشهوات التي يميل إليها الإنسان بفطرته، ويستمتع بها خلال حياته الدنيا، ثم تبين لنا كذلك أنّ من اتقى الله عز وجل، وأخذ من هذه الدنيا قدر التي تعينه على الاستعداد لليوم الآخر، وتزود فيها بما يرضي المولى سبحانه وتعالى كانت له طريقاً للوصول إلى جنّات تجري من تحتها الأنهار ورضوان من الله..

- قال صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون) /رواه مسلم/.

- قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف 7].

- فعلى المؤمن أن لا يجعل من هذه الدنيا غايةً لحياته؛ بل يأكل من طيباتها ويستعمل خيراتها ولا يجرم نفسه مما يعينه منها على التزود للآخرة، ثم يرمي ما لا فائدة له منها، فلا يقع في حبها، ولا يغرق في شهواتها فتكون منتهى آماله.. فهي أهون عند الله من جناح بعوضة.. وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هيّنة على أهلها؟ قالوا: من هوأها ألقوها. قال: (والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء).

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما كان لله منها).
- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحبّ دنياه أضّرّ بآخرفته، ومن أحبّ آخرفته أضّرّ بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (يا عجبا كل العجب للمصدّق بدار الخلود، وهو يسعى لدار الغرور).

- وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال: (هلموا إلى الدنيا، وأخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة، وعظماً قد نخرت، فقال: هذه للدنيا)..؛ وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق، وأن الأجسام التي تُرى بها ستصير عظماً بالية..

- أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يأكل من طيبات هذه الحياة الدنيا، ولا يُجرّمها على نفسه، ولكنه صلى الله عليه وسلم جعلها وسيلة لا غاية حتى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: (مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)..

- قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص 77].

* وقد حدّثنا الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم من الاستغراق في حب الدنيا وطلبها ونسيان العمل للآخرة.

- قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة 38].
- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات 37-39]

- وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ [النجم 28-30]
- وقال صلى الله عليه وسلم: (ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفويت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت؟) ..
- وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (الدنيا دار من لا دار له، وما من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له) ..

- * وذلك أن الدنيا خداعة مكاراة تتزين للناس فإذا غرقوا في متاعها، كثررت عن أنيابها ونفتت فيهم سمومها، مع أن متاعها لا يخلوا من حسرة وكدر؛ فلا يشبع منها صاحب، ولا يدرك منها ما يأمل، ولا يُحسن الزاد فيها لما سيقدم عليه ..
- قال الحسن رضي الله عنه: "لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه".
- قال سيدنا عيسى عليه السلام: "لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبداً، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب الكنز يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها، واعملوا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزناً طويلاً" ..
- وكذلك قال سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام: "ويلٌ لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها؟ وتَعْرُهُ ويأمنها؟ ويتمسك بها وتحذله؟ وويل للمفتزين كيف أرثهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبون، وجاءهم ما يوعدون، وويل لمن الدنيا همه، والخطايا عمله، كيف يُفْتَضَحُ غداً بذنبه؟! .."
- ويقول سيدنا علي رضي الله عنه: "من جمع فيه ست خصال لم يدع الجنة عن مطلباً، ولا عن النار مهرباً، من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها".

* هذا هو معنى الزهد في الدنيا، وفيه يجد المؤمن الراحة والسكينة، ويستتير قلبه بالحكمة، وتعاون أعضاؤه في العبادة، ويكون الله بكل خير إليه أسرع..

- قال الحسن: "رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدّوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً".

- وقال بشر: "من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه"..

- وقال حكيم: "الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها"..

- وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد

الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى..) فما أحسن قول القائل:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها	ولا تنام عن اللذات عينها
شغلت نفسك فيما ليس تدركه	تقول لله ماذا حين تلقاه؟

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا ديانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.. إنك أرحم الراحمين...

3 - النَّفْس:

- قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ

دَسَّاهَا﴾ [الشمس 7-10]

* فالنفس هي من أشد العوائق وقوفاً في طريق الإنسان دون الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، ولا ينتفع الإنسان بنعمة الله تعالى عليه بالإيمان والعلم إلا إذا عرف نفسه، ووقف بها عند قدرها، ولم يتجاوزها إلى ما ليس له، وتيقن أنه لله، ومن الله، وبالله؛ فهو المانّ ابتداءً وإدامةً بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه، فتدله نعم الله عليه، وتكسره كسرةً من لا يرى لنفسه ولا فيها خيراً البتة، ذلك أن من عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائص والحاجة والفقر والذل والمسكنة والعدم، وأنها لا خير فيها البتة، عرف

ربه بكماله وجوده وغناه ورحمته وإحسانه وأن الخير كله في يديه، وأنه وحده هو المستحق للحمد والثناء والمدح...

- قال صلى الله عليه وسلم: **(المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، ونفس تنازعه، وشيطان يضله)..**

- وقال بعض الحكماء: (من استولت عليه النفس صار أسيراً في حب شهواتها محصوراً في سجن هفواتها، ومنعت قلبه من الفوائد، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامة، إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب: خلق الملائكة ورَّكب فيهم العقل ولم يرَّكب فيهم الشهوة، وخلق البهائم ورَّكب فيهم الشهوة ولم يرَّكب فيهم العقل، وخلق ابن آدم ورَّكب فيه العقل والشهوة، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة..).

* فينبغي للإنسان العاقل أن يستخدم عقله في تزكية نفسه وتطهيرها، وجعلها خاضعةً لأوامر الله سبحانه وتعالى وهدية..؛ بعيدة عن الأهواء والشهوات وبعض المألوفات والمباحات؛ ذلك أن النفس إن لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات..

وقد حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال: **(الجهاد على ثلاثة أصناف: جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر، - جهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة، - جهاد مع النفس الأمانة بالسوء،**

- وقال صلى الله عليه وسلم: **(أفضل الجهاد جهاد النفس)**، وإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا إذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وإنما سماوا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لأن الجهاد معها أدوم، وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت...

* فمتى استطاع الإنسان أن يتغلب على نفسه انتصر على كل شيء، ومما يساعد على محاسبة النفس وتهذيبها وإصلاحها: كثرة العبادة والقدوة الحسنة، وإن في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ما إن اقتدينا بهم لانتصرنا على أنفسنا؛ إذ أنّ من أعظم أشكال مجاهدة النفس هو عدم الانتصار لها، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها...

- وما كان النصر والسيادة للصحابة الكرام إلا بعد أن تخلَّوا عن أنفسهم وهانت عليهم الدنيا وما فيها..؛ وقد أخرج ابن عدي في الكامل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(أخوف ما أخاف على أمتي: إتباع الهوى، وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة..)**.

- وسئل أحد المشايخ عن الإسلام فقال: "ذبح النفس بسيوف المخالفة، واعلم أن من نجحت طوارق نفسه ذهبت من قلبه شوارق أنسه بالله" ..

- ويقول ابن عطاء الله السكندري: "أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضى عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعقّة عدم الرضا عنها ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه؛ فأى علم لعالم يرضى عن نفسه، وأيُّ جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟! ..

* وقد أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الأعمال وفيما يستقبل منها؛ فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني..
والأولى أن يحاسب الإنسان نفسه من ليل إلى ليل، فما رآه من تقصير في يومه ذلك فليتداركه بالتوبة والاستغفار - وكذلك كان يصنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ويجاهد نفسه عن الوقوع فيما لا يرضى الله سبحانه وتعالى وما لا فائدة منه إلا رضى النفس..

4 - الهوى:

قال صلى الله عليه وسلم: **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به..)**.
ولقد مرّ الشرح في (مخالفة الهوى) في موضوع الكفارات والدرجات والمنجيات والمهلكات في فقرة "هوى متبع" وهي من المهلكات..

وأما (العلائق):

فهي كل ما تعلّق به القلب دون الله ورسوله من ملاذّ الدنيا وشهواتها ورئاستها وصحبة الناس والقلق بهم، ولا سبيل له إلى قطع هذه الأمور الثلاثة ورفضها إلا بقوة التعلق بالمطلب الأعلى، فإن النفس لا تترك مألوفها ومحبوبها إلا لمحبوب هو أحب إليها وآثر عندها منه، وكلما قوي تعلقه بمطلوبه ضَعف تعلقه بغيره، وكذا بالعكس والتعلق بالمطلوب هو شدة الرغبة فيه، وذلك على قدر معرفته به وشرفه وفضله على ما سواه...

والعلائق نوعان:

علائق مباحة: ومنها علاقة المرء بزوجته وأولاده وماله وذلك ضمن الحدود المباحة..
وعلائق محرمة: كصحبة الرجل لامرأة لا تحل له، والاختلاط، والنظر الحرام، وعدم التقيد باللباس ذي الحشمة أمام كل من ينبغي أن نحتشم منه...

- ولا شك أنه حتى العلائق المباحة إن تجاوزنا حدودنا المشروعة فيها فحالت بيننا وبين الوصول إلى الله سبحانه وتعالى أو طغت محبتها على محبة الله ورسوله أصبحت علاقة محرمة..

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 8-10]

- فالأزواج والأولاد والأموال قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله، وسبباً للتقصير في التقيد بأوامر الله سبحانه وتعالى، فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر خسراناً مبيهاً.
- ومن استطاع أن يقوم بواجبهم ويقوموا بواجبه دون أن يطغى حبهم عليه، بل كان هدفه بعلاقتهم هذه رضاء المولى سبحانه وتعالى، وحبه فقد فاز بما وعد الله سبحانه وتعالى من الأجر العظيم..

* وإن في الصحابة الكرام لنا أمثلة توضح كيف تكون التضحية بكل شيء مقابل رضى المولى سبحانه وتعالى ومحبته والوصول إليه..

- فهذا مصعب بن عمير كان أكثر أهل مكة مالاً قبل الإسلام، ولكنه ضحى بكل ماله مقابل أن يبقى مسلماً حتى توفي وعليه شملة إن غطت قدماه كشف رأسه، وإن غطت رأسه كشفت قدماه..

- وهذا سعد بن أبي وقاص الذي كان باراً بأمه، فلم أسلم قالت له: يا سعد! ما هذا الذي أراك أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيَّر بي..؛ فمكثت عدة أيام لا تأكل حتى جهدت واشتدت جهدها، فقال لها: (يا أمّاه! تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي..).

- ومما يذكر أن السيدة رابعة العدوية قالت يوماً: (من يدلنا على حبيبنا؟) فقالت خادمة لها: (حبيبنا معنا، ولكن الدنيا قطعنا عنه)..

- فعلى كل واحدة منا إن أرادت الفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى أن تجعل رضاه سبحانه هو الغاية الكبرى من أيّ علاقة لها مع أي أحد..، فلا تدع لتلك العلائق مجالاً للوقوف دون وصولها إلى الله سبحانه وتعالى..

- وصدق ابن عطاء الله السكندري إذ قال في حكمه:

(كيف يشرق قلبٌ صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مُكبّل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنا غفلاته؟ أم كيف يرجوا أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟..)

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين..

المراجع:

- شرح الحكم العطائية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- شرح الحكم العطائية للشرنوبى.
- مكاشفة القلوب للإمام الغزالي.
- مقاصد الرعاية للإمام العز بن عبد السلام.

- الرسالة القشيرية للنيسابوري.
- الفوائد لابن قيم الجوزية.
- وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له للشيخ محمد أبو اليسر عابدين.

